

رو على باحث فاضل

بين الغرب والشرق

للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

تثبت في شيء غير قليل من الامان والتدبر ما كتبه « باحث فاضل » على صفحات « الرسالة » أخيراً تحت عنوان « بين الشرق والغرب » تمليناً على ما جاء في المقالين الأول والثاني من مقالتي في الرد على ما أثاره صدقتنا الأدب التابعة « فليكس فارس » من اعتراضات استمدها مما قاله في مناظرة جرت له معنا منذ عام أو أكثر ، وذلك في سلب مقال نشرته له « الرسالة » وجهها لفنان مصر « توفيق الحكيم » بمناسبة ما كتبه عن للشرق والغرب في قصته « عصفور من الشرق » . وقد راعى من كتابة باحثنا للفاضل تحججه في أمور لا أعتقد أن لها سبباً غير ضعف كفاية التأمل والقياس العلمي عند الجليل الحاضر من كتاب العربية ، فقد انساق باحثنا إلى مواقف ما كان

والاستقلال — ظن أنهم جاثمون يطلبون العطف والتشهير وهكذا لا يعرف الجاهل من الحياة إلا أنها أكل وشرب :
آه . ما أسهل أن يتصح الانسان غيره ولكن ما أصعب أن يعمل هو بهذه النصائح :

الوفاء . للشرف . الأمانة . فضائل يكثر التحدث بشأنها والتحصن عليها والنهي على المجتمع لاغفاله أمرها ، وما ذلك إلا لأن هؤلاء الذين يتحصرون عليها لا يذكرونها إلا إذا كانوا هم في حاجة لأن ينام لهم بها الآخرون ، أما عندما تطلبهم هذه الفضائل بالعمل بها فانهم يشيحون عنها بوجوههم ثم ينسون أن غيرهم لا يفعلون إلا مثل ما فعلوا

الحب شيطان جميل

قل لمن يطلبون الراحة في الحياة . مهلاً فانها تنتظركم وسوف تملونها ... هناك في التمه

« القاهرة »

محمد فرهمي

ليقفها لو كان التأمل والقياس عنده اكتملت أسسهما من المنطق العلمي . والسألة بمد لم تخرج بيني وبين باحثنا المفضل عما كان بيني وبين الصديق « فليكس فارس » ، خصوصاً وأن الكثير من أجزاء مقال الباحث متعلمة من المادة التي جابهنا بها مناظرنا « فليكس فارس » ، والتي كانت مقالاتنا في « الرسالة » بياناً مفصلاً لثيفها ، وأنها لا تثبت لكي تقف على قدميها لترجح رأياً لأنها تحمل في طياتها أدلة ضعفها . وبدد باحثنا الفاضل حاول أن يكون في كتابته منطقياً على قدر الامكان ، فجاء في الشطر الأول من تمليقه بكلام يرد فيها كلامنا إلى أصولها الأولى وخطوطها الأساسية ، ويفصل فيها برأى عنده ، هو الحد الفاصل على ما يرى بين اعتقاد له في للشرق واعتقاد لنا في الغرب .

والسألة لم تخرج عن كونها قضية إن احتات الجدل من ناحية المنطق الشكلي من حيث هو إدارة الكلام في صور من الأقيسة لأبواب وجهة من النظر معينة ، إلا أنها من ناحية الواقع لا تحتل الجدل ؛ ذلك أنها أولية من الأوليات التي تنزل من مواضع أفكارنا الحديث من حيث لقع بالمنطق العلمي . ونحن في ردنا على ما أثاره باحثنا الفاضل من اعتراضات ظننا تقوم وجهة نظر في تفاضل الشرق على الغرب ، فاننا نرجو أن تفصل الكلام بمد في موضوع للشرق والغرب والشرق موجهين للبحث إلى وسبباً لا يسحج بمد أنت تشعب وطل باعترضات استلزم ردوداً منا وكلاماً .

وأول شيء ننظر فيه مع باحثنا المفضل في أساس المقابلة ؛ وهل تقوم على أس من شطر العالم إلى شرق وغرب كما هو في تقويم البلدان . أما باحثنا نرى يرى هذا ، فشكل من الشرق والغرب عنده عادات وطبائع تباين الآخر ، ولقد اتسع مدى هذا للتباين حتى ألبس العقلية في كل منها مظهراً خاصاً تميزت به عن الآخر . ونحن من جهةتنا تنفق إلى حد ما مع مفهوم هذا الكلام ، ولكن نقطة الافتراق أننا نرى طباع العقلية الانسانية كان يتأثر في كل من للشرق والغرب في عصور التاريخ بمد وجزر العقلية الشرقية والغربية في حالة جزر ، ويقابل ذلك مد من جهة العقلية الشرقية فان عوالم من للشرق كانت تدخل في منطقة المد الشرقي فتتأثر بطابع العقلية الشرقية ، وأحياناً

أساسي بين طبيعة العقلية جميعها . وعلى هذا فالصورة الذهنية لكل شعب — عنده — يظن أن تكون مرآة للشكل المتكون من تفاعل خصائص ذلك الشعب للتاريخية مع البيئة . وباحثنا المفضل في رأيه هذا يفتقر عنا عند تقطة أساسية ، ذلك أننا نرى أن هنالك فروقاً بين عقليات الشعوب ، طبيعة العقل الألماني غير طبيعة العقل الفرنسي ، وطبيعة العقلين الألماني والفرنسي غيرها بالنسبة لطبيعة العقل الإنجليزي . ذلك أن طبيعة عقل شعب ما ليست سوى خصائص ذلك الشعب منعكسة من مرآة نفسه ... ، وطبيعة عقل الشعب يتلون بها العلم تلونا كبيراً ذلك بحكم أن العلم نتاج ذو شكل خاص للعقل الانساني ، وهذه حقيقة تنكشف لمن يتعمق في المسائل العلمية الصرفة . وأنا شخصياً بحكم اختصاصي في العلم الرياضي لي أن أتكلم عن هذه الفروق في مادة تخصصي ، وكل ما لي الآن أن أفعله هو أن أنقل لباحثنا المفضل بعض السطور من كتابنا « للفيزيكا والرياضة والنطق » الذي نشره غوستاف م . فيشر عام ١٩٣٠ بالألمانية عن ليزينغ وينا ، وذلك عن الصفحة ٢١٨ فقد جاء هنالك ما ترجمته :

(إن النمايين الذين نلسمها في علم الرياضة، من حيث رجوع أحدهما بوتيرة سير الاستدلال الرياضي للعقدس Intuition والآخر للمنطق logic — مرده ما هنالك من فروق بين طبيعة الدهن الألماني من الجهة الأولى والدهن الفرنسي من الجهة الأخرى .) وقد جاء في هامش كتابنا هذا تعليق على هذه الفقرة نقله كما هو مترجماً للمريسة :

(أما قطب أن النمايين الأساسيين في علم الرياضة راجع لطبيعة العقلين الألماني والفرنسي وما بينها من فروق فذلك حقيقة أولية لا يتنازع عليها ، غير أنه يجب أن نلاحظ أن هنالك من الرياضيين في ألمانيا من تأثر بالعقلية الفرنسية وطابعها الخاص ، إذ كرم من هؤلاء شيخ المدرسة التحليلية في الرياضة جو تفريد ويلهلم لينبتر ، فقد كان المذكور تلميذاً لمباركارت ، وكانت عقلية عقلية فرنسية صرفة . أما في فرنسا فهناك قد تأثروا بطرائق العقلية الألمانية نذكر منهم البروفسور شارل هيرميت من دهاقنة العلم الرياضي البحث في القرن التاسع عشر ، والسألة بعد ذلك راجعة في العموم إلى طبيعة العقلين وخصائصهما .)

كان يحدث المكس . إذاً فيجب أن نكون محتاطين في قبول الأساس الجغرافي في تقسيم العالم إلى شرق وغرب . لأن الشرق كان يمتد في بعض عصور التاريخ فيشمل بقاعاً من العالم الغربي ، كان يصل إلى سفوح جبال الپرانس بأسبانيا وسلسلة جبال الكرايات والطنوة في اللبلقان ولبارديا في إيطاليا ، كما أنه كان يتقلص في بعض المصور فينحسب إلى الصحراء العربية في الشرق الأدنى والصحراء الكبرى في أفريقيا . وهذه مسائل ملحوظة من التاريخ لا تحتاج إلى بيان ، فن هنا يتضح أن كلامنا عن التفرقة بين الشرق والغرب إلى ما يمكن له من طابع للغرب وظابع للشرق أدق ما يمكن أن يكون أساساً لبحث الفروق الكائنة بين طبيعة العقل للشرق وطبيعة العقل الغربي . والوضوح بعد ذلك راجع لمفهوم الشرق والغرب من علم تقويم البلدان ، ولكن ليس بالصورة الفاطمة التي تستخلص من التحديد الجغرافي الصرف ، وإنما على وجه مرن يتفق والواقع الملموس .

وبعد فيدين أن ما حارفيه باحثنا المفضل في تحد يدانغلي الشرق والغرب من كلامنا واضح ليس فيه موضع للبس أو غموض أو إبهام . أما أنه يرى بعد هذا كله أن كلتي للشرق والغرب مجهولتا المعنى والتحديد في كلامنا ، فلستنا نرى لكلامه هذا وجهاً ، وهو الذي بعد أن انتهى من تلخيص رأينا في طبيعة العقلية الغربية وطبيعة الذهنية الشرقية ذهب يقول : (إلى هنا أحسن الكاتب صنفاً — يعني بذلك دراستنا لطبيعة العقلين للشرق والغرب — ولو أنه لم يتمد مدلول هذا، بمعنى بذلك أننا لو وقفنا عند هذا الحد ولم نعمل على كسب تحليلاتنا العقلية صفة للشمبيات لكان بحته (بحق) أوفى ما يكتب في بحث مظاهر العقلية) ولستنا نعرف كيف يتفق رأيه في اعتبار بحثنا أو فيما يكتب بحق في بحث مظاهر العقلية من حيث يتناول الفروق الكائنة بين طبيعة العقل للشرق والعقل الغربي مع قوله إن مفهوم الشرق والغرب بقيا مجهولي المعنى في كلامنا ...

إذن لنا أن نصرف النظر عن هذا الكلام الذي يخترمه التناقض والاضطراب ، ولنتنظر فيما يجيبه علينا من إكسابنا العقلية مظهر الصفات الشعبية ، فهو يرى أن ليس ثمة فرق

الناس فهل يتناقى ذلك مع العقل السليم ؟ وهل يتهم بعد ذلك بأنه قاصر ؟

لا ... أيها الباحث ! ولكن قبل كل شيء يجب أن تنتبه إلى هذه الحقيقة وهو أننا لم نقل إن الشرق يدخل عنصراً روحياً بين الأشياء حتى نتحلنا هذا الرأي ، وكل ما قلناه إن الشرق يدخل المنصر النوبي في الأشياء لأن نظره غيبية occulte فجعلها أنت المنصر الروحي ... وشتان بين المنصرين ، وأين كلامك من كلامي هذا ...

ثم مسألة أخرى ... قلنا إن الغرب أجهل في النظر للأشياء البدء من العالم المنظور ، أعنى عالم الطبيعة ، وهو ينتهي منه إلى العالم غير المنظور إن كان هنالك ثمة وجه لمثل هذا الانتهاء . ولكن باحثنا للفاضل يتساءل متى بدأت هذه العقليّة في الغرب بحثها عن الخالق عن طريق الطبيعة ، وهو يجيب أن الشرق هو الذي سبق الغرب بمثل هذا الاتجاه ، وما كان الغرب إلا مقلداً لها ومتأزراً بها وبأسبابها . وهذا وهم عريق في الخطأ ، وناحية الخطأ أن الباحث للفاضل توهم أن معنى النظر في العالم المنظور والبدء منه أن ينتهي منه الانسان للعالم غير المنظور . والمسألة لم تخرج عن أن صاحبنا ينظر لكلامي من ناحية عقليته الشرقية وهنا موضع الماء في كلامه

« البقية في العدد القادم » اسماعيل أحمد أرهم

وإني لأذكر أنني منذ مدة لا تتجاوز ربيعاً واحداً من طابنا هذا كنت في زيارة الصديق حسين فوزي في مكتبه بإدارة الأبحاث الألمانية ، وكان على مكتبه بضعة أعداد من مجلة «نيتشر» الجديدة وفي أحدها وقفت على مقال لعالم ألماني كبير على ما أذكر هو رئيس معهد ويلهلم للبحث العلمي بقرر فيه أثر الدم السامي في العلوم الوضعية ، وأنه يمتنع إلى صور عليها من الخيال على العلم فتسرقت سير العلم الصحيح . وهذا كلام إن لم تتفق مع صاحبنا عليه في تقاصيله فلا يمكننا أن ننكر أن فيه من وجهة عامة عنصراً من الحق ، أي من جهة التجريد الذي هو طبيعة ذهن السامى .

إذا صح هذا ، من أن العقليات تكتسب الصفة الشمسية كثيراً على عكس ما ذهب إليه باحثنا للفاضل في تنقيته على ما كتبناه سقط كل ما أقامه على هذا الوجه من آراء

وبعد فلربما المفضل سقطت استوجيبها عدم تمتعه في مدلول عباراتنا والنظر إلى ما وراء ألفاظها الظاهرة ، فهو يتساءل قائلاً : متى بدأ الانسان يتحسس الخالق في شر مخلوقاته ، أهو الشرق مصرياً كان أو آشورياً أو كلدانياً أو عربياً أم بدأ به اليونان والرومان والسكسون ؟ والسؤال على هذا الوجه لا معنى له بالتسبة لنا ، لأن الأصل فيه تحسس الخالق بآثاره في مخلوقاته ، فالخالق هنا أصل والمخلوقات أو الطبيعة فرع . ونحن نقدر أن مثل هذا النظر كان من خصائص العقل للشرق ... ولتأمل بمد موضع كلامه باحثنا المفضل ...

غير أن السؤال لو وضع في صيغة أخرى تتفق مع نظرة العقليّة الثرية للأشياء لكانت إفادته : متى بدأ الانسان النظر في الطبيعة ؟ ومتى انتهى من نظره هذه إلى الخالق ؟ أهو للشرق أم للشرق نظر على هذا الوجه ؟ فإن السؤال يستقيم له إجابته من أن مثل هذه النظرة من خصائص العقليّة الثرية

والواقع أن باحثنا للفاضل يلزمنا عسيراً مثل هذه الاعتراضات ووجه المسرأتها تضطرنا أن نعيد القول ونكرده وتكلم في الأوليات ووجه آخر من أوجه اعتراضات الكاتب ، ذلك قوله : إذا كان للشرق قد أدخل المنصر الروحي في تقدير المعاملات بين

